أزمة الهوية الوطنية العراقية بين الانتماء والولاء والحقوق والواجبات

م.د. محمد ذنون نرينو الصائغ
كلية الآداب- جامعة الموصل

الكلمات المفتاحية: وطن .هوية . انتماء

الملخص:

كان عام 2003 ليس ككل عام مَر على العراق والعراقيين قبله أو بعده ،إنه عام استثنائي لا لمجرد سقوط نظام ديكتاتوري على يد الغزاة فحسب، وإنما هو العام الذي دمرت فيه منظومة الدولة العراقية الحديثة ،ففتحت بذلك الأبواب على مصراعيها أمام تدخلات القوى الإقليمية والدولية التي تعكس أيديولوجيات ومصالح سياسية مختلفة ومتصارعة، أدت بالمحصلة إلى افتقادنا للهوية الوطنية العراقية واستحضار وإنعاش الهويات الدينية - الطائفية والقومية والمناطقية وضرب بعضها ببعض وفق منطق التصادم والصراع الدموي ،لتثبيت السيطرة والخضوع وتقبل الأخر أحيانا حتى وإن كان الغازي المحتل المختلف ثقافياً واعتباره هو الحل والمخلص، إن استراتيجية الصراع حدث فيها تغيير واضح ومقصود وموجه ،فبدل الصدام بين القديم والحديث والديني واللاديني، أو بين الليبرالي واليساري ،وبقية العناوين الأيديولوجية الأخرى، أصبح الصراع أكثر خطورة ودموية من خلال خلق المبررات والأسباب للاحتراب بين الأديان من جهة ،أو بين المذاهب داخل الدين الواحد في البلد الواحد.

إن سؤال الهوية هو الآن أحد أكثر الأسئلة إلحاحاً في المجتمع العراقي ،وهو سؤال يعبر عن أزمة عميقة لأن الأمة العراقية في حالة من التراجع الفكري والحضاري، والضعف والتهديد والضياع للهوية الوطنية، على أن أعادة الانتماء والولاء للهوية الوطنية العراقية الجامعة (العراق كوطن للجميع)، يُمكن من خلال تفعيل معادلة المساواة في الحقوق والواجبات بين مكونات وأفراد المجتمع العراقي .

أن منح العراقي حقوقه وتعريفه بواجباته وجعله يؤديها دون التفريق على أي من الأسس، سيجعله يشعر بانتمائه بقوة للعراق كوطن ويقدم له ولائه المطلق، وسيجد العراقي الجهة التي يشعر بها بالأمان وتستحق أن ينتمي إليها، فيخرج من أزمة الهوية ،وسيعرف عن نفسه عندما يسأل داخل العراق أو خارجه وبكل ثقة بأنه (مواطن عراقي).

المقدمة:

لا يمكن إعطاء "مفهوم" واضح للهوية الوطنية فهي غير ثابتة ومتبدلة ومتحركة أيضا باستمرار، تبعا للظروف التي يعيشها الفرد والمجتمع، كما أن النزعة الوطنية في هذه الهوية وأعني العراقية تعرضت للتفكك باتجاه الهويات والانتماءات والولاءات المحلية والفرعية، كالأثنية والإقليمية والمذهبية والقبلية في جسد الدولة العراقية الحديثة. وهو ما يؤكد إحدى خواص الهوية الوطنية وهو أنها متحركة (ديناميكية) ومتبدلة بحسب المتغيرات السياسية والاقتصادية والاجتماعية لأسباب يطول الحديث عنها([1]). فدعوى بناء دولة ديمقراطية في العراق على أنقاض الديكتاتورية الصدامية ،سبب اندلاع أسوأ أعمال عنف طائفي حطمت ما تبقى من قُشور المواطنة العراقية([2]).حيث لم تكن الهوية العراقية الوطنية عَقدا بين أطراف المجتمع العراقي الذي هو مجتمع تعددي طبقي بطبيعته، بل كانت تَفرضها سياسات القمع والهيمنة الداخلية أو الخارجية، أو تُلاقي بعض المشتركات والمصالح المؤقتة في مراحل محددة، هذه الإشكالية تطرح نفسها بقوة اليوم ،فكردستان والأكراد ينشدون الاستقلال، والسنة يفكرون بإقليم مستقل وبمؤتمر لتنظيم صفوفهم. والشيعة يجمعهم تحالف منقسم على نفسه داخلياً لكنه يقاوم انقساماته لمواجهة الآخرين، وكذلك التركمان والمسيحيين والأيزيديين والصابئة... وغيرهم من مكونات الشعب والمجتمع العراقي. فالهوية العراقية ليست الأولوية ولاهي الجامع الكبير لجميع الهويات الفرعية والمحلية([3]).

إن تماسك أو تفكك الهوية الوطنية العراقية يعتمد على العوامل المتناغمة المشتركة التي تنمو بين الهويات الفرعية، فتزيد القواسم المشتركة للهوية الوطنية ،أو على العكس فتتهدد هذه الهوية عندما تتغلب عوامل التصادم والنزاع والمصالح الفئوية والحزبية والشخصية على من يمسك بدفة التشريع والحكم والقرار.

هكذا كان الأمر في النظم السابقة ،فارتكبت خطأين :-

الأول - هو استيلائها على الهوية الوطنية.

والثاني- تطويق وإضعاف الهويات الفرعية والمحلية.

وهو ما حدث أيضا بعد عام 2003 ([4]).فقد أضحى سؤال الهوية الوطنية أحد أكثر الأسئلة إلحاحاً في الفكر الاجتماعي العراقي ،وهو سؤال يعبر عن أزمة وجود ولد قلقاً كبيراً، فالعراقيون من بين القضايا التي انشغلوا بها كلما مروا بأزمة هو السؤال عن هويتهم الوطنية، فالمجتمع العراقي برمته مَر ويمر منذ سنوات متلاحقة لاسيما بعد عام 2003،حيث ازدادت وتفاقمت حالة الضعف والتهديد للهوية الوطنية العراقية واحتمالات ضياعها بحالة

من التراجع الفكري والحضاري، والذي يراجع التاريخ يجد أن الأمم والشعوب تزداد انشغالا بتاريخها وماضيها حين يكون حاضرها مأزوماً ومستقبلها غير واضح ([5]).

لقد طَغت الهويات الفرعية في العراق بعد عام 2003م ،لاسيما وأن الخطاب الإعلامي الخارجي بَدأ يضخ العنصرية والعرقية والطائفية في هيكل الدولة العراقية بهدف تفكيك البنية الاجتماعية العراقية، وتحت شعار (فرق قبل أن تَغزو)، ثُم أصبح الخطاب الطائفي فيما بعد الركيزة الأساس في سياق التنافس الانتخابي، فضلا عن خلط الجانب الديني والقبلي والقومي وليس الوطني، فانتهج السياسيون العراقيون سياسة الاستقطاب الضيق الذي يعتمد على الانتماءات الفرعية والجزئية من أجل الحصول على المناصب وأصوات الناخبين([6]).

لقد ارتبطت الهوية الوطنية العراقية سابقاً بالقائد والحزب والسلطة أولاً. ثم بالوطن والقيم الاجتماعية، وأمسى الولاء للوطن قيمة ثانوية يُطالب العراقي التمسك بها، بحسب حاجة القائد ومتطلبات أمجاده الشخصية والعائلية. ثُم تَغير الحال وأمسى الولاء للوطن قيمة يُطالب بها العراقي تحقيقا لوحدة العراق واستقراره ولكنها مجرد شعارات أتت بحسب متطلبات المرحلة.

هذه القيمة وأعني الولاء للعراق تواجه إشكاليات عديدة ومعقدة، منها ما يتعلق بطبيعة هذا الولاء وما إذا كان مرتبطاً بمصلحة خاصة ينتهي بانتهائها، ومنها ماله علاقة بأنواع الولاء وماهية القضايا التي يتجه إليها، فالإنسان العراقي الأن في حيرة تجاه الولاءات الفرعية، التي أتجه إليها طَلباً للحماية كالعشيرة أو الطائفة أو الحزب وأحياناً القائد الملهم والضرورة الذي تكرر حضوره وهذه المرة (دينياً). وماهية واجباته الأخلاقية تجاهها في مقابل الولاء للعراق كوطن، لاسيما بعد أن ضعفت سُلطة الدولة ومؤسساتها وأفتقد المواطن العراقي للأمان والحماية ([7]).وغدت الحقوق والواجبات مُجرد شعارات يتغنى بها السياسيون في الخطب السياسية وحبيسة المتن الدستوري والنصوص القانونية ولا وجود لها ولا أثر على أرض الواقع ([8]).

إن ضعف الهوية الوطنية العراقية أمام الهويات الفرعية والانتماءات الضيقة، يعني ضعفاً في البناء الدستوري والسياسي للدولة ،وذلك يدفع بشكل أو بأخر المواطن بالاقتناع بأن العراق وطن ليس للجميع، بل هو ساحة صراع لتلك الانتماءات الضيقة للحصول على المكاسب والمغانم فيه، وعليه يتجه العراقي نحو المذهب والعشيرة والحزب والرمز والقائد يقدم له ولائه لأن ذلك - في رأيه- أكثر قوة وحصانة وتوفيراً للأمن من الانتماء للوطن([9]).

تحديد وتعريف المفاهيم

1- المواطنة :-

مأخوذة من وطن هو الأرض التي يُقيم فيها الإنسان ،وفي علم الاجتماع السياسي تعرف المواطنة بأنها تفاعل اجتماعي بين أفراد طبيعيين ومجتمع سياسي يقدم فيه المواطن الولاء مقابل تقديم الطرف الثاني الحماية، وتنظم هذه العلاقة بوساطة الأنظمة الحاكمة([10]). والمواطنة نسبة للوطن وهو المكان الجغرافي الذي ولد فيه الإنسان ،يتسع معناها ليتمثل التعلق بالبلد والانتماء له ولتراثه ولغته وعاداته في سياق حركة المجتمع وتحولاته، وفي صلب هذه الحركة تنسج العلاقات وتتبادل المنافع وتخلق الحاجات وتبرز الحقوق وتتجلى الواجبات والمسؤوليات، فالحقوق والواجبات هما الأدوات لبناء مواطن قادر على العيش بسلام وتسامح مع غيره على أساس المساواة والعدل وتكافؤ الفرص ([11]).وتعنى المواطنة من ناحية قانونية بتحديد علاقة الأفراد بالدولة من حيث احترام السلطة المتمثلة بالدستور ،والخضوع للقانون ومعرفة الحقوق والواجبات ،وبهذا تشكل الإطار القانوني والسياسي لممارسة المواطن لحقوقه ولأدائه لواجباته بكل وعي ومسؤولية على أرض الواقع. وبمعنى أدق فالمواطنة هي علاقة أو إلتزام بين طرفين، الأول هو الفرد أو المواطن الذي يجب أن يَقوم بما عليه من واجبات كالولاء والانتماء والحب والعاطفة الوطنية وترجمتها إلى سلوك وخدمة فعلية .والثاني هو الدولة التي يجب أن تضمن للمواطن الحماية وتقدم له الخدمات المختلفة (الحقوق)،أي أن المواطنة هي عملية التوازن بالنسبة للفرد بأن يقوم بما عليه من (الواجبات)،ويأخذ ماله من (حقوق)([12]).

2 – الهوية الشخصية :

هي صورة ذهنية يحملها وينقلها الإنسان العاقل لمحيطه الخارجي، تعكس مجمل الخبرات والفعاليات وتقوم على كيفية تقديم الإنسان نفسه للآخرين ،وكيف ينظر إليه المحيط، وهذه الهوية هي الأسلوب والسلوك ألذي يميز الإنسان عن الآخرين، فعندما نسأل عن الهوية فأننا نوجه سؤال (من أنت ؟)([13]).

والهوية تعني جوهر الشيء وحقيقته التي هي الثقافة أو الحضارة، ولما كان في كل مسمى سواء أكان إنساناً أو ثقافة أو حضارة ،ثوابت ومتغيرات، فأن هوية أي مسمى هي ثوابته التي تتجدد ولا تتغير، تَنجلي وتفصح عن ذاتها دون أن تُخلي مكانها لنقيضها، وهي مجموع تفاعل ثلاثة عناصر:-

1- العقيدة، التي توفر رؤية للوجود 2-اللسان، ألذي يَجري التعبير به 3- التراث الثقافي الممتد في الماضي وصولاً للحاضر والمستقبل([14]).

3- الهوية الثقافية العراقية :-

هي مجموعة من السمات والخصائص التي تنفرد بها هذه الشخصية، وتجعلها متميزة عن غيرها من الهويات الثقافية الأخرى، وتتمثل تلك الخصائص بالتاريخ والتراث والعادات والتقاليد والأعراف وما تحدده من سلوكيات وتوجهات وأفكار ،فضلاً عن الدين والمذهب لبعض الثقافات المحلية أو الفرعية، وهي كذلك القدر الثابت والجوهري والمشترك من السمات والقسمات العامة التي تميز حضارة الأمة العراقية عن غيرها من الثقافات([15]).

4- الهوية الوطنية العراقية :-

هي الصورة النمطية العامة عن المجتمع والوطن والحكومة التي بتداولها أبناء المجتمع العراقي برمته، داخل العراق وخارجه، وتنعكس في سلوكياتهم الحياتية اليومية وتعاملاتهم، وهي الانتماء للأمة العراقية (إن وجدت !) وأرض العراق كمكان جغرافي وبيئة مادية، وهي الصورة النمطية غير المشوهة (التي يُفترض) أن تَنقلها المؤسسات الرسمية للحكومة العراقية عبر وسائل الإعلام ،أو المؤسسات التربوية والتعليمية لأبناء المجتمع العراقي، وهم بدورهم سيتناقلوها عبر الأجيال([16]).

5- الانتماء والولاء :-

يخلط البعض بين مفهوم الانتماء ومفهوم الولاء، فالأولى صفة يكتسبها الإنسان بجسده وبأوراقه الثبوتية الرسمية، بينما الثانية يكتسبها الإنسان بعقله وقلبه وجوارحه. فالانتماء صفة نكتسبها بحكم الولادة في مكان أو الإقامة فيه لفترات طويلة. بينما الولاء صفة نكتسبها مع مرورنا بمواقف وذكريات وأحداث تخلق لدينا الحب وربما العشق لهذا المكان الأمر الذي يَجعلنا نَبذل الغالي والنفيس من أجل الحفاظ على هذا المكان ألذي يُسمى الوطن، فقد ننتمي لمكان أو وطن ولكن ليس بالضرورة أن ولائنا له. بل أن الانتماء إذا تَعارض مع الولاء قد يجعل الإنسان يحزن كثيراً على الانتماء لهذا المكان ولا يخلص له بالقول أو الفعل ([17]).لذا فان :-

أ – الانتماء :

هو العلاقة الايجابية والحياتية التي تُؤدي إلى التحقق المتبادل الذي تنتفي منه المنفعة بمفهوم الربح والخسارة، وترتقي إلى العطاء بلا حدود الذي يَصل إلى حد التضحية

بالنفس، ويتجلى الانتماء بصورة واضحة عندما يتعرض الوطن لأي اعتداء خارجي، والانتماء قَد يكون طبيعياَ فطرياَ لاسيما عند الإنسان العاقل العادي بفعل وجوده واستمراره في البقاء في ظل الوطن وضمن المنظومة الاجتماعية الكبرى للمجتمع ،وقد يكون انتماء عاطفي تجاه موقف أو ظرف طارئ ([18]).

ب – الولاء :

هو تأكيد الانتماء وتعميق الارتباط بكل ما يرمز اليه الوطن من قيم ومثل ومبادئ وخصوصيات ونظم وقوانين ومفاخر تاريخية ورموز ،وهو أيضا الإخلاص في خدمة الوطن في غاية الإخلاص، والحرص بالغ الحرص على سلامته من كل الآفات والأضرار والمخاطر التي يمكن أن تصيبه مادياَ ومعنوياَ، والولاء للوطن بهذا الاعتبار هو السعي من أجل أن يكون الوطن في الذروة من المجد والسمو والتقدم والازدهار، والولاء للوطن هو ولاء مطلق بلا حدود، ولا يقبل الازدواجية، ومن كان له ولاء مزدوج فهو كمن لا ولاء له، أي فاقد لأهم شروط المواطنة وقيم الوطنية الصحيحة ([19]).

6 – الحقوق والواجبات :

ا- الواجبات.

هي التزام قد يكون ذا طبيعة قانونية أو أخلاقية ،وهو اللفظ المقابل للحقوق التي يحظى بها مواطنو الدولة، والتي تَدل على الأخلاق والقوانين التي يجب على المواطن الالتزام بها داخل المجتمع في وطنه ([20]).والواجب يتمثل في أي أفعال تفرضها قواعد مقبولة تحكم أي ناحية هامة من نواحي الحياة الاجتماعية أو أي عمل تعاوني، وهذه الواجبات تتمثل في الواجبات الخلقية والقانونية والوطنية والاجتماعية والعائلية والعقائدية ([21]).

ب – الحقوق :

الحق هو نقيض الباطل، وجمعه حقوق وحقاق ،وأستحقه طلب منه حقه، واستحق الشئ أستوجبه ([22]).والحقوق هي المزايا التي يشعر الفرد أو الجماعة أن من حقهم أن يحصلوا عليها من المجتمع، وانطلاقا مما سبق فأن "حقوق المواطنة" هي الحقوق التي يرى المواطنون في دولة ما، بأن على الدولة ممثلة في مؤسساتها المختلفة أن تقدمها لمواطنيها ،فهي حق لهم وتتمثل في الحريات والقوانين والأحكام والخدمات.. وما شابه التي توفرها الدولة لمواطنيها كي يعيشوا برفاه وأمن واستقرار([23]).

أزمة الهوية الوطنية العراقية بين الانتماء والولاء والحقوق والواجبات

أن ينتمي الإنسان العراقي لوطن اسمه (العراق)..يعني أنه يؤمن بقيمة هذا الانتماء الحقيقي الذي يكون بمثابة الشحنة الروحية والعاطفية التي لا تضعف ولا تنتهي، وتدفعه للعمل المخلص والمشاركة البناءة التي تساهم في رُقي العراق. ومن مَصاديق الانتماء والشعور بالوطنية هو إذابة الذات في الجماعة وتقديم المصالح العليا للوطن على الخاصة، والدفاع عن العراق وقضاياه العامة مع الاحتفاظ بحق الدفاع عن المصالح الخاصة المعقولة والمقبولة شرعا وقانوناَ، ولكن بتقديم الأولى عندما يكون العراقي بين خيارين في زمان واحد([24]) وهو جزء من واجبات و تأسيس ثقافة المواطنة العراقية التي لا تحتاج إلى جُهد كبير سوى في تضافر الجهود كافة من الدولة ومؤسسات المجتمع المدني والنخب والبرلمان، من أجل صياغة صحيحة وصحية ومقبولة لأسس المواطنة الصالحة التي ترسخ العدالة والمساواة بين العراقيين كمواطنين، وتطبق القانون على الجميع وتكون من حيث الممارسة غير بعيدة ولا تكرس التمييز على أساس الدين والمذهب والعشيرة والفئة والحزب، وأن ذلك وأن حدث سَيولد رد فعل سلبي من قبل الذين مورس عليهم التمييز، ويجعلهم ينكفئون على ذواتهم ويلجئون إلى طوائفهم أو قبائلهم لأخذ حقوقهم واسترجاع ما سلب منهم .

وتكون المحصلة تأسيس دولة المحاصصة والانحيازية والطائفية والحزبية وليست دولة مؤسسات وقانون، لذلك يقع على عاتق الحكومة العراقية الآن المسؤولية الكبرى في ترسيخ مفهوم المواطنة، من خلال المساواة بين المواطنين في الحقوق والواجبات وتطبيق القانون على الجميع،،وعلى عاتق البرلمان العراقي وضع التشريعات ،لتكون حافظة لحقوق جميع العراقيين ومكرسة ومحددة لواجباتهم دون تمييز وتتناسب مع المرحلة([25]).

أن من واجبات الحكومة العراقية أن تضع وفق برامجها الثقافية وبرامج مؤسساتها التعليمية والتربوية خطط وبرامج ومناهج تساهم في غرس روح المواطنة لدى الإنسان العراقي، وتكرس مفهوم الانتماء للوطن العراق والولاء له،،من خلال جزء مهم هو الولاء للحكومة والأشخاص المنتخبين الذين (يعتقد) العراقي بأنهم يمثلونه ويرعون مصالحه، وتلك هي خصائص متقدمة من الشعور بالانتماء للعراق والولاء له، وهو ما لا نجده في العراق شعباَ وحكومة وقيادات سياسية إلا قَليلا، بل العكس إذ ساهمت سياسات وسلوكيات أغلب الأحزاب والشخصيات السياسية والقيادية في تشظي المجتمع العراقي وتقسيمه، وإضعاف الانتماء وضياع الهوية الوطنية، بعد أن كان يسوده التضامن بشكل أو بأخر، فقد ساد بسبب هذه السياسات والسلوكيات الفردية واللامنضبة والفاسدة طابع الولاء المحلي الطائفي

والفئوي والمناطقي، فالعراقيون يعيشون اليوم أزمة ثقة بالقيادات السياسية وحتى الدينية فضلاً عن الحكومة، التي جعلت بسلوكيات عدد من الفاسدين من الفرد العراقي إنساناً متذمراً ناقماً على حكومته ووطنه، لا يفرق بين الحكومة كأشخاص وبين الوطن كأرض ومنزل يؤويه يشعر في كنفه بالأمان والاستقرار، ففقد انتماءه وهويته ([26]).هذه الهوية لا يمكن أن تكون حقيقية وفاعلة إن لَم تَشعر كل هوية محلية أو فرعية أن حقوقها مضمونة ومصانة ضمن الهوية الوطنية العراقية ،وفي المقابل لا يمكن للهوية الخاصة أن تستولي على الهوية الوطنية ،ولا أن تتمرد عليها وقتما تشاء وكيفما تشاء، فأن حَصل الأمر الأول فأن الأمر الثاني سيكون نتيجة طبيعية ،فلابد من علاقة تبادلية وديناميكية تشعر من خلالها الهوية الخاصة بأن الهوية الوطنية ضامنة وحافظة وصائنة لها، وتشعر الهوية الوطنية بأن الهويات الخاصة هي أجزاء متكاملة يقود سقوط أي جزء حيوي منها إلى تهديد حقيقي لكامل البنيان ([27]).

لَقد كان تَقديم الهويات الفرعية والمحلية والخاصة ضمن أرض العراق على الهوية الوطنية العراقية الكبرى والجامعة، واستغلالها من الأخر سبباً وكما هو معلوم في تأجيج العديد من الصراعات والنزاعات الداخلية الدموية، وسيسبب غيرها في المستقبل.

فضلاً عن أن المغالاة والشطط في بناء نموذج وطني قائم على إتحاد فيدرالي وكون فدرالي دون تحديد واضح للسياسات والأطر الإدارية والتقيد بها ،قَد يصيب الهوية الوطنية العراقية بالتشظي أو يُخربها ويدفعها باتجاه الولاء التعصبي للكيانات المكونة للإتحاد، وذلك متأتي من التمسك المفرط لأفراد مجتمع هذا الإقليم أو ذاك، بهويتهم المحلية وتقديمها على الهوية الوطنية العراقية.

كذلك ومن ناحية أخرى مهمة،فأن بناء الهوية الوطنية العراقية المستقلة يدفع بأتجاه تقديم صورة واضحة وحقيقية عن طبيعة الاستقلالية التي نعنيها نحن العراقيين ونرغب من الأخر احترامها والتعامل معنا على أساسها ([28]).

الخاتمة:

تشكل المواطنة العراقية أساس الانتماء ومنبع الوطنية، وهي انتماء لأرض وتراب تَحده حدود جغرافية معلومة وواضحة، وكل من يعيش على ذلك التراب مواطنين ،مثلما عليهم واجبات لهم حقوق ،وهذا يتطلب انصهار العراقيين بكل أديانهم ومذاهبهم ومللهم وجذورهم العرقية في تلك الحدود الجغرافية المعلومة والمشتركة لهم ،ومن ثم تنازلهم عن أي خصوصية لهم تتعارض مع هذا المفهوم، وان حقوق العراقيين كمواطنين هي مسؤولية الحكومة العراقية ووظيفتها الرئيسة هي تامين تلك الحقوق([29]).

كما أن استرداد الهوية الوطنية العراقية شبه المفقودة في نفوس العراقيين، مرتبط بادراكنا لمفهوم الدولة الوطنية، ولمدى خطورة إفرازات المرحلة الحالية من تاريخ العراق على مستقبل أجياله القادمة، عبر مناقشة جادة لأزمة الهوية التي يمر بها الفرد والمجتمع العراقي كُلاَ.. والتي ستؤدي بالمحصلة إلى نشوء (عراقات-إن صَح التعبير) صغيرة ومتعددة ضعيفة ومتصارعة([30]). وعملية إعادة بناء الهوية الوطنية هو بالتأكيد عمل مؤسساتي، لكنه في ذات الوقت يتطلب مشاركة أبناء المجتمع الذين ينبغي أن تتوفر لديهم صورة ذهنية، إنسانية، ثقافية، حضارية، تاريخية واقتصادية واضحة لهذه الهوية، التي لن تأتي من العدم ولا تستجلب من الخارج ،وإنما لها امتدادات حضارية وثقافية عميقة وموروثة ،فضلاَ عن اعتمادها على القيم الاجتماعية الجامعة في العراق الوطن([31]).فضلا عن أن الولاء للعراق لا يأتي مصادفة أو من خلال حشد إعلامي مؤقت أو تمجيد للزعيم الأوحد الملهم والضرورة، إنما هو مشروع حضاري يحتوي على ما قبل الدولة والدولة نفسها وما بعدها، وهذه المراحل لا تجتمع بمجرد إضافة زمنية ،بل هي نُمو ثقافي وحضاري نفسي واجتماعي وتربوي، تراكمي مستمر يمتد من الماضي إلى الحاضر وصولا للمستقبل، وأي خلل في هذا النمو ستكون نتائجه سلبية ووخيمة ومخيبة للآمال.. ولا يكفي أن نعقد المؤتمرات والندوات وندخل في حوارات حول هذا المفهوم أو ذاك، فقط ،وينتهي دورنا بأنتهاء هذه الفعاليات. ومن ركائز ترسيخ الولاء للعراق. القيام بأداء الواجب تجاهه ،وألا تَطغى قَضية المطالبة بالحقوق فقط (كما يريدها الكثيرون) على قضية القيام بالواجب تجاهه ([32]).

فضلاَ عن ذلك فنحن بحاجة إلى تأصيل موضوعي حقيقي لقضية المواطنة لتتناسب مع الزمان والمكان ولا تتعارض مع القيم الأساسية والجوهرية. باستنهاض الهمم وعلى كافة الأصعدة والمستويات والشرائح الاجتماعية، واستشارة ذوي الخبرة والتخصص لإعادة قراءة بناء الدولة على أسس مؤسساتية وقانونية تُمارس ما وضعه الدستور العراقي، ولا تبقى حبراَ على ورق، وهو ما يتطلب تضافر جهود السلطة التشريعية والتنفيذية ومؤسسات المجتمع المدني وكافة شرائح المجتمع العراقي، لترسيخ مبدأ المواطنة، لاسيما من خلال التطبيق الفعلي لمقررات الدستور العراقي فيما يتعلق بالحريات والحقوق والواجبات([33]).فالمواطنة تزدهر وتتحقق عندما تتوفر العدالة والمساواة وحين يتساوى الجميع في الحقوق والواجبات، ويكون ذلك التساوي محسوسا وملموسا أمام القانون، سواءَ أكان في تحريره أو في تطبيقه، ويكون القانون فوق كل الاعتبارات الدينية والقبلية والعرقية والأيديولوجية ([34]) .

أن منح العراقي حقوقه وتعريفه بواجباته وجعله يؤديها دون التفريق على أي من الأسس العرقية والدينية والطائفية أو العشائرية والحزبية والمناطقية، سيجعله يشعر بانتمائه بقوة للعراق كوطن ويقدم له ولائه المطلق،وسيجد العراقي الجهة التي يشعر بها بالأمان وتستحق أن ينتمي إليها، فيخرج من أزمة الهوية ،وسيعرف عن نفسه عندما يسأل داخل العراق أو خارجه وبكل ثقة بأنه (مواطن عراقي).

الهوامش:

1- جهاد محسن/ الثقافة والهويات المتحولة /2018-7-16/ بتصرف/ www.alghad.com

2 -عبد الرحمن الحاج/الهوية الوطنية والهوية الدينية ومأزق الاجتهاد الفقهي/2018-7-16/ www.almultaka.org

3 - عادل عبد المهدي /الهوية الوطنية أم الهويات الخاصة ؟/2018-7-16/ بتصرف/ www.aladalanws.net

4 -نفس المصدر السابق.

5 -هويدا صالح / الهوية الثقافية العربية بين جدلية الأنا والأخر/2018-7-16/ بتصرف/ www.mominon.com

6 - د.حازم مجيد أحمد الدوري/ الهوية الوطنية مقابل الهوية الفرعية/مجلة كلية التربية الأساس – جامعة بابل/العدد14 كانون الاول-2013 / العراق / ص 303 بتصرف .

7 -عبد الملك بن أحمد أل الشيخ/الولاء للوطن بين الواجبات و الحقوق / بتصرف/2018-7-17/ www.alhayat.com

8 - أحمد بو دراع / المواطنة حقوق وواجبات /2018-7-17/ بتصرف www.platform/ almanahl.com

9 - د. حازم مجيد أحمد الدوري/مصدر سبق ذكره/ص 304 بتصرف .

10 - محمد مروان/واجبنا نحو الوطن / 2018-7-17 /بتصرف / www.mawdoo3.com

11 -أ.أيمان شمس الدين / الهوية والانتماء والمواطنة/ 2018-7-17/ www.nosos.net

12 - د.عودة عبد الجواد أبو سنينة/ حقوق المواطنة وواجباتها كما يراها معلمو الدراسات الاجتماعية في مدارس وكالة الغوث الدولية في الاردن / مجلة جامعة الأقصى (سلسلة العلوم الإنسانية)/المجلد 15/العدد2/يناير-2011/ص4و5 .

13 - صادق الطائي /بناء الهوية الوطنية/2018-7-16/بتصرف/ www.hdf-ig.org

14 - أيمان شمس الدين/الهوية والانتماء والمواطنة/ 2018-7-17/بتصرف/ www.nosos.net

15 - هويدا صالح / الهوية الثقافية العربية بين جدلية الأنا والأخر/2018-7-16 /بتصرف /www.mominon.com

16 - صادق الطائي / بناء الهوية الوطنية /2018-7-16/ بتصرف/ www.hdf-iq.org
17 - عبدا لله العدوان /2018-7-17/ www.alnaba.com
18 -أ.أيمان شمس الدين/ الهوية والانتماء والمواطنة/2018-7-17/بتصرف/ www.nosos.net
19 - عبد القادر الأدريسي/ الولاء للمطلق للوطن قيمة ثابتة لاتتغير/17-7-2018www.maghress.com/
20 - محمد مروان / واجبنا نحو الوطن 2018-7-17/بتصرف/ www.mawdoo3.com
21 - د.عودة عبد الجواد أبو سنينة/مصدر سبق ذكره/ص 8 .
22 -ابن منظور،جمال الدين محمد بن مكرم/لسان العرب/ج 1/ط3/دار الفكر/بيروت/1994/ص 109 .
23 - د.عودة عبد الجواد أبو سنينة/ مصدر سبق ذكره/ ص 8 .
24 - رياض وهاب العبيدي /المواطن بين مفهوم الانتماء للوطن والولاء للساسة والرموز /17-7-2018/بتصرف/ www.non14.net
25 - أ.أيمان شمس الدين / الهوية والانتماء والمواطنة/2018-7-17/ بتصرف/ www.nosos.net
26 - رياض وهاب العبيدي/المواطن بين مفهوم الانتماء للوطن والولاء للساسة والرموز/17-7-2018 /بتصرف/ www.non14.net
27 - عادل عبد المهدي/ الهوية الوطنية أم الهويات الخاصة/2018-7-17/www.aladalanwes.net/
28 - صادق الطائي/بناء الهوية الوطنية/2018-7-16/بتصرف/ www.hdf-iq.org
29 - د.حازم مجيد أحمد الدوري/ مصدر سبق ذكره /ص 304 .
30 - محمد علي / البحث عن الهوية المفقودة/2018-7-16/بتصرف/ www.kitabat.com
31 -صادق الطائي/بناء الهوية الوطنية /2018-7-16/بتصرف/ www.hdf-iq.org
32 - عبد الملك بن أحمد الشيخ/الولاء للوطن بين الواجبات والحقوق/17-7-2019/بتصرف/ www.alhayat.com
33 - أ.أيمان شمس الدين /الهوية والانتماء والمواطنة/2018-7-17 /بتصرف/www.nosos.net
34 - د . حازم مجيد أخمد الدوري/مصدر سبق ذكره / ص 30 .

Iraqi national identity crisis between Affiliation and loyalty rights and duties

Dr . Mohammad thanun Zeno Al-Sayegh

Faculty of Arts-University of Al Mosul

mohammed.th.zeno@uomosul.edu.iq

Keywords: Homeland, identity belonging

Summary:

The year 2003 was not like every other year that Iraq and the Iraqis passed before or after. It is an exceptional year, not only because of the fall of a dictatorial regime at the hands of the invaders. Different and conflicting political ideologies and interests, which ultimately led to our lack of the Iraqi national identity and the evocation and revival of religious identities – sectarian, national and regional, and striking each other according to the logic of collision and bloody conflict, to establish control, submission and acceptance of the other sometimes even if the invader is culturally different and considers it as the solution and the savior. The conflict took place in it a clear, intentional and directed change, so instead of the clash between the old and the modern, the religious and the irreligious, or between the liberal and the leftist, and the rest of the other ideological titles, the conflict became more dangerous and bloody by creating justifications and reasons for strife between religions on the one hand, or between sects within the same religion in the country the one.

The question of identity is now one of the most urgent questions in Iraqi society, and it is a question that expresses a deep crisis because the Iraqi nation is in a state of intellectual and civilizational decline, weakness, threat and loss of the national identity, provided that re-affiliation and loyalty to the unifying Iraqi national identity (Iraq as a homeland for all), It is possible through

activating the equation of equality in rights and duties between the components and individuals of Iraqi society.

Granting the Iraqi his rights, introducing him to his duties, and making him perform them without distinction on any of the grounds, will make him feel strongly belonging to Iraq as a homeland and offer him his absolute loyalty, and the Iraqi will find the side to which he feels safe and deserves to belong to it, so he will get out of the identity crisis, and he will know about himself when he asks inside Iraq Or outside it with confidence that he is (an Iraqi citizen).